Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يستطع أبو الطيب التزول عن هذه القمة ليرضى سيف الدولة ، فكان المخرج الوحيد أن يرحل ، فرحلَ ، لا راغباً فى الرحلة ، ولا طامعاً فيما هو خير مما كان عليه عند سيف الدولة وإنما رحل لأنه لم يكن هناك مخرج غير الرحلة ، ولست أشك فى أن كل ما طمع فيه المتنبى بعد ذلك ، وتطلع إليه ، وألح فى طلبه عند كافور ، من طلب الولاية أو الاقطاع لم يكن هدفاً لذاته فى نفس المتنبى ، وإنما كان أمنية يريد أن يغيظ بها سيف الدولة ، ويجعله يشعر بالندم على تفريطه فيه ، وبأنه وجد عند غيره خيراً مما وجد عنده ، وبأن ما رحل إليه كان خيراً له مما رحل عنه ، فشاعر المتنبى حينئذ لم تكن عداء وكراهية لسيف الدولة رغم سوء العلاقة بينهما ، وإنما كانت مشاعر العناد والتحدى ، كما يكون بين حبيبين من خصام أو عناد أو تحد ولكن المتنبى فشل فى هذا التحدى ، فلم يجد عند كافور ما يغيظ به سيف الدولة والمحيطين به ، وأحس بخيبة الأمل ، أو ما يسميه علماء النفس الإحباط ، وعلماء النفس يلحظون أن شعور الإحباط من أخطر ما يسيطر على المرء من مشاعر ، فلا حدود للآثار الضارة التى تلحقها سيطرة هذا الشعور على الإنسان ، فقد تصيب صاحبها بأنواع شتى من الأمراض ، أو فقدان الحركة ، أو فقدان الذاكرة ، أو فقدان أى شىء حتى الحياة .

ومن الواضح المشهور أن المتنبى لم يبلغ به الشعور بخيبة الأمل أو بالإحباط ما بلغه فى هذه الآونة عند كافور ، ولم يبلغ شعره من السخط على كل شىء حتى الحياة نفسها ما بلغه فى هذه الحقبة ، لأنه كان واقعاً تحت سيطرة الشعور بخيبة الأمل ، وبالفشل فى التحدى لسيف الدولة ومن حوله ، وبأن الدعائم التى قام عليها كيان شخصيته الاجتماعية والأدبية عند سيف الدولة بدأت أو أوشكت أن تنهار دون بديل ، فكان من الطبعى المنتظر أن تثور فى نفسه مشاعر الألم والسخط والكراهية لكل شىء حتى الحياة ، والنتيجة البدهية لكراهية الحياة هى التفكير فى الموت ، وهذه قمة الشعور باليأس وفقدان الأمل فى أى شىء ذى قيمة ، وما زاد المتنبى على أن صاغ نفسيته حينئذ فى مطلع القصيدة ، وما كان له ، ولا لأى شاعر أصيل أن يحول بين نفسيته ، وبين ظهورها فى المطلع بأى أسلوب ، بل ما كان ليستطيع ذلك ، فقد نتصور أن المتنبى جعل مطلعه هذا غزلا ، ولكن حديثه حينئذ لن يكون حديث شوق ورغبة ، وإنما حديث السخط الصارم على كل شىء ، واليأس الشديد من كل شىء ، فليس المهم